Foreword

Dr. Henry M. Morris

مقدمة

بقلم الدكتور" هنري موريس"

كتاب مثل هذا كنا ننتظر صدوره منذ زمن طويل، هو كتاب لا غنى عنه في مجال اللاهوت الكتابي. وإنها لمناسبة فريدة لأهدي هذا الكتاب إلى صديقي وزميلي منذ وقت طويل الدكتور "جون وايتكومب". وإنه لامتياز لي أن أكتب مقدمة أؤيد فيها هذا الكتاب، وأشجع المسيحيين في كل مكان أن يقرأوه، ويستخدموه في مجالات خدماتهم وشهادتهم للرب. كما أني أوصي بهذا الكتاب بشكل خاص إلى رعاة الكنائس من الملتزمين الكتابيين، وأساتذة الكتاب المقدّس في معاهد اللاهوت والكليات التي تدرّس الكتاب المقدّس، ليمعنوا النظر في الأدلة والبراهين الواردة فيه. لقد كانت المساومة على قضايا تخص الخلق والتاريخ المذكور في التاب المقدّس أمرًا شائعًا بين القادة المسيحيين. كان "جون وايتكومب" - لما يقرب من خمسين عاماً- بمثابة صوت صارخ في البرية، يسعى إلى دعوة إخوته اللاهوتيين إلى العودة إلى التعاليم الكتابية الواضحة في هذه الموضوعات الرئيسية. والآن هم في طريقهم إلى هذه العودة، ويقدم مؤلفو الفصول التالية من هذا الكتاب الأسباب المنطقية لهذا.

لقد بدا الأمر في غاية الغرابة بالنسبة لي – كعالم متخصص وقارئ عادي للكتاب المقدّس– أن حركة انتعاش مذهب الخلق الكتابي الحرفي (وهو المصطلح الذي أفضل أن أطلقه على "مذهب خلق الأرض الفتية (حديثة العهد) أو الحديثة العهد") قد تزعمها العلماء وليس اللاهوتيون. فعلى سبيل المثال كتاب " the genesis flood" والذي صدر عام 1961 كان يحتوى على مناقشات علمية أكثر من المناقشات الكتابية. كما أن مجتمع أبحاث الخليقة قد تأسس عام 1963 كمنظمة تجمع علماء مؤيدين لمذهب الخلق، ومنذ ذلك الحين انتشرت بقوة المنظمات والهيئات التي تؤيد نظرية الخلق (الكتابي الحرفي) وجميعها تكونت من أعضاء من العلماء. بعد ذلك ظهرت العديد من الكتب عن "علوم الخلق"، وكان مؤلفوها من العلماء أيضًا.

إنه لمن الصحيح أن هناك العديد من البراهين العلمية المنطقية التي تشير إلى خلق خاص، وأرض فتية (حديثة العهد)، وطوفان عالمي، وكلها قُدّمت بشكل مقنع في المناظرات التي قام بها العلماء المناصرون لمذهب الخلق، واللقاءات والمؤتمرات التي قاموا بها على مدار العديد من السنوات قد حققت نتائج مبهرة. ولكن البراهين القاطعة والمقنعة لم تكن مستقاة من الكتاب المقدّس وليست ذات طبيعة علمية. إن العلم والمنهجية العلمية تؤيد الخلق دون شك، ولكنها لا تستطيع إثبات الخلق أو إثبات بطلان التطور(النشوء والارتقاء). ولا يمكن للعلم أيضًا أن يحدد عمر الأرض، أو يثبت أنه كان هناك طوفان عالمي في الماضي السحيق.

ومع ذلك فالكتاب المقدّس في غاية الوضوح بالنسبة لهذه القضايا. وليس هناك ولو إشارة عابرة وردت في الكتاب المقدّس عن التطور أو الأزمنة السحيقة التي يتضمنها التطور. وليس هناك أيضًا أي إشارة كتابية تقول أن الطوفان الوارد في سفر التكوين كان محليًا، أو كان طوفانًا هادئًا كما تنادي نظريات لاهوتية متواطئة مع نظرية النشوء والارتقاء(التطور). ولا يتطلب منّا أن نكون علماء لاهوتيين أو دارسين للكتاب المقدَس لنفهم ذلك. فالأمر يبدو واضحاً لأي شخص يقرأ الكتاب المقدّس بطريقة عادية، ويؤمن بأنه كلمة الله المعصومة من الخطأ.

والسؤال هنا لماذا لا يرى معظم اللاهوتيون هذا؟ لاسيما اللاهوتيون والرعاة الكتابيون الذين تدربوا في المعاهد اللاهوتية الكتابية المحافظة؟ وهذا هو الأمر الغريب. جميعهم يقرون بأن الكتاب المقدّس موحى به من الله، وهذا ما يسجله الكتاب المقدّس بشكل واضح.

ومع ذلك منذ وقت طويل، حتى المعاهد اللاهوتية التقليدية والمحافظة تَعلِّم الطلاب أن يتقبلوا نظرية التطور، أو على الأقل الأزمنة السحيقة التي تتضمنها نظرية التطور، ضمن مجموعة معتقداتهم عن العالم. وفي محاولتهم في ذلك استخدموا نظرية الفجوة أو نظرية اليوم كحقبة زمنية أو نظرية الإطار الغامضة جداً.

ولكن هذه النظريات غير كتابية وليست بالضرورة علمية. أَدرك تماماً أن الدافع من وراء هذه الآراء المساومة هو الدفاع عن الإنجيل وكسب الناس للمسيح بدلاً من هيمنة الحركات الدينوية على المجتمع. ولكنها من المؤكد غير ضرورية. فالمؤتمرات العلمية غالباً ما تغلب عليها الصبغة العلمية في مناهجها، ولكن كان الشعور العام أنه طالما أن العلم أثبت صحة نظرية التطور والعصور الجيولوجية فإن هذه المفاهيم لابد أن تُدرج في العلوم اللاهوتية الخاصة بنا، بغض النظر إلى أي مدى يجب أن نَحرّف سفر التكوين أو نفسره بطريقة روحية رمزية.

أدرك أن المؤسسة العلمية مازالت تلتزم بالمنهج التطوري، بالرغم من وجود آلاف من العلماء المناصرين لمذهب خلق الأرض الفتية (حديثة العهد) أو الحديثة العهد وهم علماء معتمدون بصورة كاملة. وأن المجلات العلمية البارزة، وحتى الصحف العامة ترفض نشر مقالات تؤيد نظرية الخلق، ويهيمن العلماء التطوريون على الساحة العلمية. ويرفض قادتها بصراحة أن يدرجوا نظرية الخلق (أو حتى أي ذكر لبراهين تدحض نظرية التطور) في المدارس الحكومية. ويرددون مراراً وتكراراً في كل المناسبات شعارهم **" الخلق مسألة دينية، والتطور مسألة علمية"**.

كل هذا من شأنه أن يَخيف معظم اللاهوتيين إلى الحد الذي يندر فيه التعليم عن نظرية الخلق الكتابي الحرفي لفترة طويلة في المعاهد اللاهوتية كما في الجامعات الحكومية.

ولكن اللاهوت الكتابي يجب أن يُحكم بكلمة الله وليس بآراء العلماء. لهذا السبب فإن هذا الكتاب يأتي في الوقت المناسب ويلبي احتياجًا مُلحًا. مؤلفو هذه الفصول يتمتعون بمؤهلات عالية تؤهلهم ليكتبوا في هذه الموضوعات من منظور كتابي ولاهوتي. وقد أظهروا بشكل جلّي أن كلمة الله تنادي بخلق

خاص، وأرض فتية (حديثة العهد)، وطوفان عالمي، وبشكل عام رؤية كونية مركزها الله. بالنسبة لمن يؤمنون حقًا بعصمة ووضوح الكتاب المقدّس، فهذه الدراسات يجب أن تحسم الأمر نهائيًا.

ولكنها مع ذلك لا تحقق ذلك بسبب التطوريين الدنيويين. وأن الرؤية العالمية التطورية سوف تستمر بشكل مؤكد تقريباً في هيمنتها على العالم ككل. في الواقع، فإن نبوات الكتاب المقدّس وصفت هذا الأمر من قبل. ولكن هذا لا يبرر التواطؤ من قبل الكتابيين. يجب علينا في هذه الحالة أن نجعل "اللهُ صَادِقًا وَكُلُّ إِنْسَانٍ كَاذِبًا "(رومية 4:3). إن كلمة الله هي التي ستحكم على عرش دينونة المسيح، وليس" العلم".

وفي واقع الأمر ليس هناك برهان علمي حقيقي يؤكد نظرية التطور بشكل ما. وهذا ما توضح بشكل واف في كتابات كثير من العلماء من أنصار نظرية الخلق. لم يلحظ أي منهم تطوراً حقيقياً يحدث (أو ما يسمى بالتطور الكبيرMacro evolution) خلال آلاف السنين من التاريخ المسجّل- وبالتالي فمن المؤكد أن التطور ليس جزءاً من العلم القائم على الملاحظة والرصد (العلم الحقيقي يجب أن يتضمن الملاحظة والتكرار).

بالإضافة إلى ذلك، وبالرغم من الإدعاءات محل الخلاف، لم يستطع أحدهم إظهار سلسلة تطورية انتقالية بين مليارات الحفريات التي حَفِظت في الصخور الرسوبية للقشرة الأرضية. ولذلك فالتطور لم يحدث في الماضي أيضًا حسبما تَظهِر الدلائل والبراهين.

في الواقع، إن التطور يبدو مستحيلاً من الناحية العلمية على أي من المستويات. إن قانون الانتروبيا Entropy الذي يصف الثابت العالمي للتناقص (أو الفوضي) في درجة النظام في أي منظومة.. بالتأكيد ليس زيادة في مستوى التعقيد من جزيئات إلى إنسان!

هذه الحقائق تم توثيقها بكثرة في كتب ومقالات كتبها علماء مؤهلون وهم مناصرون لمذهب الخلق. واللاهوتيون الذين لهم أراء مخالفة لم يدرسوا هذه الكتابات كما ينبغي.

في الواقع تمثل نظرية التطور مذهباً دينياً- وليس منهجاً علمياً على الإطلاق. إنها مجموعة من المعتقدات تحاول شرح وجود كل الأشياء بمعزل عن الله. ومن الممكن أن نطلق عليها دين الإنسانية الإلحادية، أو دين ضد المسيح القادم. وليس هناك أي سبب منطقي يجعل اللاهوتيين أو رعاة الكنائس أو دارسي الكتاب المقدّس أن يذعنوا أو يساوموا نظرية التطور فيما بعد. كان الرسول بولس يوصي تيموثاوس وهو أحد الرعاة من الشباب قائلاً "اكْرِزْ بِالْكَلِمَةِ" (تيموثاوس الثانية2:4). الكلمة بما فيها من صحة، وليس بعض التنازلات والتوفيق مع " مُخَالَفَاتِ الْعِلْمِ " الحديث (تيموثاوس الأولى 20:6)

ويصح ذلك أيضًا فيما يتعلق بعمر الأرض والطوفان العالمي. لقد وضحت العلوم الخَلقية creationist أدلة كثيرة جدًا لعمليات طبيعية على مستوى العالم تشير إلى أن الأرض حديثة العهد لدرجة لا تسمح لتطور حقيقي أن يحدث. مشروع RATE الحديث، والذي قام به علماء من معهد

أبحاث الخلق، ومجتمع أبحاث الخلق، قد أظهر أن القياسات الزمنية بالنظائر المشعة (والذي يعتمد على عمليات تحلل اليورانيوم، وتحلل الكربون المشع) تشير إلى صغر عمر الأرض. حتى الآن، قدمت هذه الأنظمة الخاصة بالقياس الإشعاعي "براهين" محكمة لزمن "سحيق" وأرض عتيقة، وذلك وفقًا لعمليات طبيعية تشاكلية (ذات المعدّل الثابت). ولكن هذه البراهين لا يمكن تبرير استخدامها فيما بعد.

الأحداث الكتابية (خاصة بطرس الثانية 3:3-6) توضح أن المنهج التشاكلي يمثل افتراضًا غير صحيح عندما تطبق على الأحداث التي جرت قبل أو خلال الطوفان الوارد ذكره في سفر التكوين.

ومع ذلك، فهذا الافتراض يمثل بالضبط الأساس الذي يقوم عليه كل العمود الجيولوجي والعصور الجيولوجية المزعومة.

ومع ذلك فالآن يوجد عدد متزايد من الجيولوجيين- بالرغم من التزامهم بالمذهب الطبيعي التطوري- يهجرون المذهب التشاكلي. فهم يدركون حقيقة أن كل التكوينات الجيولوجية بأي حجم أو أهمية قد تكونت على الأقل من جراء نوع ما من "الكارثة" المحلية- وليس بشكل بطيء وتدريجي على مدار فترة زمنية طويلة. وهذا المذهب التشاكلي الذي يمثل مبدًا مُرشدًا في عملية التفسير الجيولوجي (" الحاضر يمثل المفتاح لفهم الماضي" كما اعتادوا أن يقولوا) قد استبدل بنظرية الكارثية الجديدة.

الاعتراف العام بعدم وجود "فجوة زمنية" عالمية في العمود الجيولوجي، وطالما أن كل وحدة (بارزة) من العمود الجيولوجي لابد وأن تكونت بسرعة وبشكل كارثي، فإن الاستنتاج العلمي الضروري يجب أن يقول أن كل العمود الجيولوجي قد تكون بسرعة وبشكل كارثي، بدون أي انقطاع. هناك الكثير من الدلائل العلمية التي تؤكد حدوث الطوفان العالمي فعلًا.

وعلى أية حال، لا يمثل أي من ذلك برهانًا حقيقيًا. فلا يجب علينا كمسيحيين أن نتطلع إلى الجيولوجية بحثًا عن الإجابات الجوهرية. لأن البرهان الثابت الوحيد هو ما ورد في الكتاب المقدّس، كلمة الله، والذي يجب أن يكون كافيًا. ولكن من الواضح أنه لم يكن كافيًا للكثيرين من اللاهوتيين الكتابيين، الذين اجتهدوا كثيراً ليشرحوا الرواية الكتابية بطريقة تجعلهم يتقبلون فكرة العصور الجيولوجية ومليارات السنين لعمر الأرض.

هذه الحيلة لن تنجح بعد ذلك، على الأقل لن تخدع أي شخص يقرأ هذا الكتاب. توضح فصول هذا الكتاب بشكل مقنع أن الرواية الكتابية مبنية على خلق حديث، وطوفان عالمي. لا يزال العلماء من أنصار نظرية الخلق يظهرون أن العلم الحقيقي لا يتنافي مع هذا الوحي. وشئت أم أبيت، هذا ما يبدو عليه الأمر!

كان ولا يزال " جون وايتكومب" يؤكد على هذه الحقيقة منذ سنوات كثيرة. من الرائع والموافق أن كثيرا من دارسي الكتاب المقدس البارزين مقتنعون الآن بهذا أيضًا، ويهدون هذه الحلقة الدراسية الرائعة إلى" د. وايتكومب" وخدمته التي تحدت هذا الزمن، وتعاليمه التي تبجّل الكتاب المقدّس.

"هنري موريس"

يونيو 2005

ملحوظة للمحرر

بعد إصابة بسكتة دماغية، وفي 25 فبراير 2006 عن عمر يناهز 87 عاماً، انتقل الدكتور" هنري إم موريس" (1918-2006) ليكون مع الرب الذي أحبه وخدمه بكل أمانة لعشرات السنوات.

اسأل أي دارس تعمق في القضايا المتعلقة بنظرية الخلق الكتابي الحرفي، ولسوف يتبادر إلى الذهن كلٌ من "جون وايتكومب" و" هنري موريس" يقفان كعلامات على الطريق. وقد تأثر كلّ من المحررين بشكل كبير بمؤلفات " موريس" العديدة والتي تصل إلى ستين كتاباً(بما في ذلك "the genesis flood" ، والذي شاركه التأليف الدكتور " جون وايتكومب" عام 1961)، وكتاباته الأخرى. وكان عالماً تقياً وموهوباً، وقد دأب على شرح وتبسيط الحق الوارد في كلمة الله والدفاع عنه من أول أية في الكتاب المقدّس. وكل العلماء من أنصار نظرية خلق الأرض الفتية (حديثة العهد) يرتفعون الآن على كتفي هذا العَالِم العملاق في الإيمان. وبالرغم أن بعض فصول هذا الكتاب لم تكن اكتملت قبل وفاته، إلا أنه كان واثقاً من خلال معرفته بالعديد من المؤلفين بحيث يستطيع تقديم الكتاب للقُرّاء وتشجيعهم على قراءته. ونحن نتشرف بنشر مقدمته لهذا الكتاب.

Foreword

John MacArthur

مقدمة

بقلم "جون ماك آرثر"

ختم الرسول بولس رسالته الأولى لتلميذه تيموثاوس يحثه- كراع شاب – على أن يحفظ وديعة الحق التي أؤتمن عليها " مُعْرِضًا عَنِ الْكَلاَمِ الْبَاطِلِ الدَّنِسِ، وَمُخَالَفَاتِ الْعِلْمِ الْكَاذِبِ الاسْمِ "(تيموثاوس الأولى 6:20-21).

على مر التاريخ البشري وجميع الأفكار التى تحتمل التخمين كانت تنسب إلى" العلم"، ويقبلها أشخاص بارزون بشكل خاطئ كمعرفة صحيحة وموثوق بها. هناك مبادئ كثيرة للنظريات القديمة الآن ثبت عدم صحتها، بل وأحياناً تكون مدعاة للضحك. من بين هذه المبادئ " الخيمياءalchemy"(أو الكمياء القديمة- وهو اعتقاد ساد في العصور الوسطى يقول أنه يمكن تحويل الفلزات القاعدية الأخرى إلى الذهب)، أو الفرينولوجيا phrenology(وهو علم فراسة الدماغ/أو علم قراءة الجماجم) (وهو اعتقاد ساد في العصر الفيكتوري -حكم الملكة فيكتوريا في بريطانيا- يقول أن جمجمة الشخص يُستدل منها على صفات شخصيته وقدراته العقلية)، أو علم التنجيم (وهو اعتقاد وثني بأن مصير الإنسان يتحدد بحركة الأجرام السماوية)، أو نظرية التولد التلقائي (وهو اعتقاد ساد لفترة طويلة بأن الكائنات الحية تتولد تلقائياً عن طريق تحلل المواد العضوية). كل هذه المعتقدات الخاطئة كان ينظر إليها كعِلم من وجهة نظر العقول البارزة في هذه الأزمنة.

لنتأمل أحد هذه المعتقدات الخاطئة ..التولد التلقائي. هذه الفكرة كانت ولا تزال أحد الأفكار التي تنطبق تماماً على ما قاله الرسول بولس لتلميذه تيموثاوس "مخالفات العِلم الكاذب الاسم". كما تعد أكثر الأفكار استمرارية من كل الخرافات العلمية المغلوطة التي أجريت معمليًا. فكرة أن حشرة المن aphids (قملة النبات) تنشأ تلقائياً من الندى على أوراق النباتات، أو فطر العفن يتولد تلقائياً على الخبز القديم، أو اليرقات تأتي مباشرة بتعفن اللحم. كان ينظر للأفكار السابقة على أنها لا تحتاج إلى برهان فهي تثبت نفسها بنفسها، وذلك من قبل ألمع العقول التي ظهرت في تاريخ البشرية[1] من عصر أرسطو حتى عام 1861 عندما أثبت "لويس باستير" بشكل قاطع وحاسم أن المواد الجامدة لا تأتي بالحياة من تلقاء نفسها.

---

[1] "ألكسندر روس" وهو كاتب ومفكر أسكوتدلاندي يرجع إلى أوائل القرن السابع عشر قدم نقدًا لاذعًا إلى السير "توماس براوني" بسبب تشككه في الاعتقاد بالتوالد التلقائي. وكتب يقول له تحت عنوان "الفئران والحشرات الطفيلية الأخرى تولدت من التعفن،

حتى في أجسام البشر" .." إنه (توماس براوني) يشك أيضًا في تولد الحشرات في الجبن والخشب، أو تولد الحشرات في روث الأبقار. أو تولد الفراشات أو الجراد أو المحار والحلزون أو ثعبان الماء وأمثال ذلك من المواد المتعفنة التي تقبل هذه الكائنات بالقوة التطورية الموجودة فيها. والتشكك في ذلك بمثابة تشكك في المنطق وحسن التقدير والتجربة. وإذا تشكك في ذلك عليه أن يذهب إلى مصر، ولسوف يجد الحقول تكتظ بالفئران التي تتولد من طمي النيل" arcane microcosmi (London:newcomb,1652) book2,chapter10,page 156

إن أحد أكثر الأمور التي يسخر منها التاريخ العلمي هو أن الطبعة الأولى من كتاب "تشارلز داروين" "أصل الأنواع" قد صدر قبل عامين من إجراء "لويس باستير" لتجاربه الشهيرة التي أثبتت أن الحياة لا يمكن أن تنشأ تلقائياً من المواد الجامدة. كان إصدار كتاب داروين بمثابة احتفال بتمجيد نظرية التطور، وقد تأصلت - كافتراض أساسي- فكرة أن الحياة يمكن أن تنشأ من تلقاء نفسها من مواد غير حية إذا ما توافرت الظروف الملائمة. بكلمات أخرى، قبل عامين من ظهور نظرية التولد التلقائي كان قد اتضح زيف هذه النظرية من الناحية العلمية. وكان قد أُعلن رسمياً أن هذه النظرية هي المبدأ المحوري الذي يقوم عليه الاعتقاد الدنيوي الحديث عن أصل الحياة.

إن اكتشاف أن البراغيث لا تتولد بطريقة سحرية من القشور المتحللة من على ظهور الكلاب النتنة لم يثني الكثيرين من بين العلماء عن اعتناق النظرية التي تفيد أن كل أشكال الحياة في العالم نشأت من تلقاء نفسها من لا شيء. إن الاعتقاد بأن الحياة تولدت ذاتيًا من اللاحياة لا يزال إلى هذا اليوم الاعتقاد غير المُفسّر والذي تقوم عليه فكرة التطور (على الرغم من سهولة كشف زيف هذا الاعتقاد).

وما يدعو إلى السخرية هنا قد تلاشى تماماً من عقول المجتمع العلمي اليوم، بحيث أصبح التطور مسألة إيمانية....إيماناً لا يقبل الشك. وقد قام العلماء التطوريون بحل إشكالية التولد التلقائي بسهولة بتغيير تقديراتهم لعمر الأرض عدة مرات رجوعاً إلى ما لا نهاية. وفي ظل الفترة الزمنية الطويلة جدًا يبدو كل شيء ممكناً. في محاولة يائسة بعدم المساس بالفكرة الكتابية عن الأبدية قد اخترع التطوريون نوعًا بديلاً من اللامحدودية.

في كل مرة يظهر اعتراض على النظرية التطورية الحالية، يأخذ الجيولوجيون وعلماء الفلك على عاتقهم إضافة مليارات ومليارات الدهور في نظرياتهم عن عمر الأرض، ومع ذلك فإضافة العديد من الأزمنة القديمة يُنظر إليه كضرورة تمثل قدرًا آخر من الاستحالة في التفسير.

في عام 2001 كتبت كتاباً يتعرض إلى سفر التكوين الأصحاحات 1-3 . وبدأت في مقدمة هذا الكتاب بالإشارة إلى أن المذهب الطبيعي قد أصبح الديانة السائدة للمجتمع العلماني المعاصر. وكتبت قائلاً: " الديانة هي أفضل كلمة تصف المذهب الطبيعي. الفلسفة بأكملها تبنى على افتراض قائم على الإيمان. والافتراض الأساسي- رفض كل شيء فائق للطبيعة- يتطلب قفزة إيمانية عملاقة. وتقريبًا كل النظريات الداعمة لهذا المذهب لابد أن تُقبل بالإيمان أيضًا".

وبالتالي هنا مثال تقليدي لما كنت أتحدث عنه وهو أن البداية النموذجية للعلماء التطوريين هي فكرة أن الحياة تنشأ ذاتيًا من مواد جامدة في وقت ما في الأزل. وهذا يتطلب ليس مجرد رفض متعمد لما نحن متأكدون منه عن أصل الحياة واستحالة التولد التلقائي، وإنما أيضاً سذاجة وغفلة كافيتان

لنصدق التقديرات المتغيرة لقدم عمر الأرض يمكن أن تكفي لحل كل الإشكاليات والمتعارضات التي ينطوي عليها المذهب الطبيعي.

في نفس الوقت في وسائل الإعلام العامة يتم الترويج للتعاليم التطورية، والأفكار الآخذة في الانتشار عن فترة ما قبل التاريخ والتي يتم عرضها بكل حماس. لنلاحظ المنتديات على الشبكة العنكبوتية، والبرامج التي تُقدم على قناة ديسكفري Discovery، واللقاءات والمقالات التي تنشر على وسائل الإعلام، والمناهج الدراسية، والكتب الموجهة إلى القُرّاء غير المتخصصين- وما ستجدونه عادة: تصريحات فجة، وغوغائية، وترهيب، وسخرية (خاصة عندما تثار موضوعات متعلقة بوَحدانية الله أو رواية سفر التكوين عن الخلق). ولكن التشكيك في اعتقاد أن كل أشكال الحياة نشأت من خلية واحدة تولدت ذاتيًا، يتضح لك أن الكون يكتظ بالبراهين التي تدعم التصميم الذكي، أو تتطلب ذلك النوع من البراهين لصالح الأصول التطورية والتي تمر مرور الكرام على الإجماع العلمي، وأن العالم التطوري الغيور سوف يطردك ببساطة كهرطوقي، أو من أسوأ أنواع المتعصبين.

ما يقرون به في دهاء هو أن التطور- حسبما يرون- هو عقيدة يجب أن تُقبل بإيمان صريح، وليست شيئاً يمكن إثباته علمياً. ومع ذلك فكل الإدعاءات عن العلم الحقيقي يمكن فحصها، ورصدها، وإعادة تقديمها، واختبارها وإثباتها معمليًا. لذلك فالإصرار على أن التعاليم الخاصة بالتطور وما يسمى بالأزمنة السحيقة لابد أن تقبل دون سؤال يعني في الواقع اعترافًا ضمنيًا بأن هذه الأفكار لا تمت إلى العلم بصلة.

تأملوا الاقتباسات التالية نقلاً عن كُتّاب معروفين من العلماء التطوريين:

- لا يمكن أن يفكر عالم بيولوجي في تقديم بحث جديد بعنوان " براهين جديدة عن التطور"، لأن التطور ببساطة لم يكن قضية قرن واحد فقط.
- حان الوقت للعلماء المتخصصين في العمليات التطورية، خاصة الذين أقتبس عنهم بشكل خاطئ واستغل ذلك العلماء المناصرون لمذهب الخلق، أن يقروا بوضوح أن التطور حقيقة وليس نظرية.. كل أشكال الحياة الحالية نشأت من أشكال سابقة كانت مختلفة عنها. نشأت الطيور من كائنات خلاف الطيور، والبشر من كائنات غير بشرية. أي شخص يدّعى فَهمًا للعالم الطبيعي لا يمكن أن ينكر هذه الحقائق.
- إليكم ما يميز بين العلماء الحقيقين عن العلماء المزيفين من مدرسة التصميم الذكي..شيء واحد يتفق عليه العلماء الحقيقيون وهو حقيقة التطور ذاته.
- إنها حقيقة تقول أننا أولاد عم الغوريلات، والكانجرو، وقنديل البحر، والبكتريا. إن التطور حقيقة واضحة وضوح الشمس. إنه ليس نظرية، ويا ليتنا نتوقف عن إرباك من لا يفهم الفلسفة إذا قلنا أن التطور فلسفة.. التطور هو حقيقة.

ولكن كما يظهرمن هذه التصريحات، فإن التطور يمثل عقيدة، وليس" حقيقة" يمكن إثباتها. مازلت متمسكاً بموقفي الذي أوردته في كتاب "the battle for the beginning" : "أن الاعتقاد

بنظرية التطور هو مجرد مسألة إيمانية بحتة. إنه يمثل ديانة بنفس القدر الذي تمثله أي رؤية كونية توحيدية".

وسأتعمق أكثر لأقول: العلم لا يستطيع التحدث بأية مرجعية عن متى بدأ الكون، أو كيف جاء إلى الوجود، أو كيف نشأت الحياة على الأرض. العلم بناءً على تعريفه يتعامل مع الأمور التي يمكن رصدها واختبارها وقياسها وفحصها بوسائل عملية. البيانات العلمية في حد ذاتها تمثل حقائق يمكن إظهارها عن طريق تجارب معملية يمكن تكرارها وقياسها وتأتي بنفس النتائج دائمًا. لذلك فإن قضية بداية الكون بطبيعتها الخاصة جدًا لا تأتي في دائرة البحث العلمي.

بصيغة أكثر وضوحًا: ليس هناك أسلوب علمي لشرح عملية الخلق. ليس أحد سوى الله قد عاين بالفعل عملية الخلق هذه. لم تتم عملية الخلق تحت أي قوانين طبيعية أو ثابتة، أو قابلة للتكرار، أو يمكن رصدها أو التنبؤ بها أو تشاكلية (الوتيرة الواحدة) في طبيعتها. لم تكن عملية الخلق حدثًا طبيعيًا أو سلسلة من الأحداث الطبيعية. إن الخلق البدائي للمادة يعتبر معجزة لحظية، خارقة ولا يمكن تفسيرها- وهذا شيء نقيض للظاهرة "الطبيعية" تماماً. وأن ي الكون كان عبارة عن سلسلة قصيرة من الأحداث الخارقة للطبيعة، والتي لا يمكن دراستها أو شرحها بالطرق العلمية. ليس هناك عمليات طبيعية تضمنت في عملية الخلق، كما أن عمل الخلق لا يمكن تكراره، ولا يمكن اختباره، ولهذا فإن النظريات الطبيعية التي تزعم شرحًا لأصل وعمر الكون لا يمكن إثباتها.

بكلمات أخرى، الخلق يمثل قضية لاهوتية، وليس قضية علمية. الكتاب المقدّس هو المصدر الوحيد الموثوق به للمعلومات الخاصة بالخلق، لأن الله بذاته كان الشاهد العيان الأوحد لهذا الحدث. ونحن إما أن نصدق ما قاله أو نرفضه. ولكن لا يجب أن يتصور أي شخص مسيحي أن مسألة الاعتقاد عن أصل الكون هو أمر ثانوي وغير ضروري أو غير جوهري. فالخلق في حقيقة الأمر يمثل بداية إعلان عن ذاته.

في الواقع وبالرغم من الإيجاز الشديد، فإن ما ورد في تكوين 1:1 يمثل رواية في غاية البساطة والوضوح ولا لبس فيها عن كيف جاء الكون والأرض وكل شيء إلى الوجود: " في البدء خلق الله السماوات والأرض". وهذا تصريح ليس فيه أي غموض أو التباس. وحتى ظهور نظرية التطور الدارونية وحماسها للتوفيق مع قصة الخلق ووضعها فى إطار العلوم الطبيعية – وخاصة قبل أن يزحف مذهب الحداثة التشككي إلى الكنيسة – لم يكن شخص يدّعي أنه مسيحى إذا كان لديه أي ارتباك نحو رواية الخلق كما وردت فى سفر التكوين. لا يجب أن يجزع المسيحيون من المذهب الطبيعي وما به من أفكار عقائدية متحجرة. لسنا بحاجة لنخترع تفسيرًا جديدًا لسفر التكوين فى كل مرة يعلن أحد العلماء الفلكيين أو الجيولوجيين أن الكون لابد أن يكون قديم الأزل أكثر مما كان يُعتقد بالسابق. ولا يجب أن نتصور أن العلوم الطبيعية تمثل تهديدًا على الحق الكتابى. وفوق كل هذا لا يجب أن نسعى لإيجاد سبل للتحايل على المعنى الواضح لكلمة الله، أو نساوم على ثقتنا بالله الخالق، أو نرضخ بسهولة لأي نظرية جديدة يُعتقد أنها نظرية علمية. هذا بالضبط ما كان الرسول بولس يحذر تيموثاوس منه.

من المؤسف، يبدو أن الفكر التطوري وهواجسه عن أحداث سفر التكوين عن الخلق قد وصلت إلى ذروتها بين المسيحيين في العقود الأخيرة. فكثير من القادة المسيحيين والمدارس الكتابية المحافظة، ومُفسّري الكتاب المقدّس كانوا على استعداد أن يهجروا الأحداث الكتابية عن أرض فتية (حديثة العهد) إلى حد ما بغرض التوفيق مع التقديرات المتغيرة باستمرار للجيولوجيين وعلماء الفَلَك من أصحاب المذهب الطبيعي.

لقد طرحوا عنهم المبادئ التفسيرية السليمة- على الأقل في الأصحاحات الأولى من سفر التكوين- للتوفيق مع أحدث النظريات عن التطور. عندما أقابل أشخاصاً ممن يعتقدون أن التعاليم التطورية تفوق الرواية الكتابية عن الخلق، أود أن أسألهم كيف تستند عقيدتهم إلى الكتاب المقدّس. هل في الأصحاح الثالث عند ذكر سقوط آدم والخطية؟ أم في الأصحاحين 4،5 مع بداية تسجيل التاريخ البشري؟ أم في الأصحاحات 6-8 مع قصة الطوفان؟ أم في الأصحاح 11 مع قصة برج بابل؟ لأنك إذا طبقت المذهب الطبيعي وافتراضاته على الأصحاحات الأولى من التكوين، فهذا يعد أقصر الطرق نحو إنكار كل المعجزات التي وردت في الكتاب المقدّس- بما في ذلك قيامة المسيح.

إذا جعلنا العلم يختبر الحقائق الكتابية وليس العكس، لماذا لا يكون رفض رواية سفر التكوين عن الخلق بنفس القدر من التشكيك في الرواية الكتابية عن قيامة المسيح؟ ولكن "وَإِنْ لَمْ يَكُنِ الْمَسِيحُ قَدْ قَامَ، فَبَاطِلٌ إِيمَانُكُمْ. أَنْتُمْ بَعْدُ فِي خَطَايَاكُمْ ....إِنْ كَانَ لَنَا فِي هذِهِ الْحَيَاةِ فَقَطْ رَجَاءٌ فِي الْمَسِيحِ، فَإِنَّنَا أَشْقَى جَمِيعِ النَّاسِ " (1كو 15:17-19).

جميع الذين ساهموا في صدور هذا الكتاب يأخذون سفر التكوين بشكل تاريخي حرفي، ويقبلون روايته التي تشير إلى أرض فتية (حديثة العهد) إلى حد ما. وقد تعاونوا معاً ليمنحونا أحد المصادر الهامة والنافعة جدًا حول هذا الموضوع. وسواء كنتَ شخصًا عاديًا تسعى لفهم كيف تتوافق وتتكامل النصوص الكتابية مع العلم الصحيح، أو راعي كنيسة محافظة تدرس سفر التكوين يتلمس آراء متعارضة حول بدء الخليقة أو المدة التي استغرقتها، أو دارسًا يتطلع إلى مصادر موثوق بها تشرح نظرية الأرض الفتية (حديثة العهد) أو الحديثة العهد، فسوف تكون المقالات في هذا الكتاب نافعة وبناءة جدًا بالنسبة لك.

إنه لامتياز رائع لأوصي بهذا الكتاب تقديراً لخدمة الدكتور "جون وايتكومب". فهو رائد وبطل في مجال علوم الخلق الكتابي، وقد استوعب بالكامل أن بدء الكون يمثل مسألة لاهوتية وقد حسمتها النصوص الكتابية. نحن نحتفي به ونكرمه من أجل عظاته وتعاليمه وكتاباته الجليلة، على مدار الستة عقود الماضية. لأنه أعلن بأمانة الحق عن يسوع المسيح الذي "كُلُّ شَيْءٍ بِهِ كَانَ، وَبِغَيْرِهِ لَمْ يَكُنْ شَيْءٌ مِمَّا كَانَ " (يوحنا 1:3)، والذي "فِيهِ خُلِقَ الْكُلُّ: مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا عَلَى الأَرْضِ، مَا يُرَى وَمَا لاَ يُرَى، سَوَاءٌ كَانَ عُرُوشًا أَمْ سِيَادَاتٍ أَمْ رِيَاسَاتٍ أَمْ سَلاَطِينَ. الْكُلُّ بِهِ وَلَهُ قَدْ خُلِقَ. الَّذِي هُوَ قَبْلَ كُلِّ شَيْءٍ، وَفِيهِ يَقُومُ الْكُلُّ " (كولوسي 1:16-17)، "لأَنْ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ صَنَعَ الرَّبُّ السَّمَاءَ وَالأَرْضَ وَالْبَحْرَ وَكُلَّ مَا فِيهَا "(خروج 20:11).

أنا في غاية السعادة لأشترك مع كثير من التلاميذ السابقين لدكتور "وايتكومب" والأصدقاء الذين انضموا معاً في هذا العمل بسبب التزامهم المشترك نحو استيعاب أن الكتاب المقدّس يُعلِّم بوضوح وتأكيد الخلق من العدم بطريقة تجعل فكرة " الأرض الفتية (حديثة العهد) أو الحديثة العهد" ليست منطقية فقط، وإنما مؤكدة أيضاً.

"جون ماك آرثر"

President of The master's college and seminary

1 Alexander Ross, an early 17th-century Scottish writer and intellectual, harshly criticized Sir Thomas

Browne for questioning the dogma of spontaneous generation. Under the heading "Mice and other

vermin bred of putrefaction, even in men's bodies," he wrote: "He doubts whether mice can be

procreated of putrefaction. So he may doubt whether in cheese and timber worms are generated; Or if

Betels and wasps in cowes dung; Or if butterflies, locusts, grasshoppers, shel-fish, snails, eeles, and such

like, be procreated of putrefied matter, which is apt to receive the form of that creature to which it is by

the formative power disposed. To question this, is to question Reason, Sense, and Experience: If he doubts

of this, let him go to Egypt, and there he will finde the fields swarming with mice begot of the mud of

[the Nile]." Arcana Microcosmi, (London: Newcomb, 1652), book 2, chapter 10, p. 156.

2 John MacArthur, The Battle for the Beginning (Nashville, TN: W Publishing Group, 2001), p. 11.

3 Douglas J. Futuyma, Evolutionary Biology, 2nd ed., (Boston, MA: Sinauer Associates, 1986), p. 15.

4 R.C. Lewontin, "Evolution/Creation Debate: A Time for Truth," Bioscience (1981): 31: p. 559.

5 Richard Dawkins, "The Illusion of Design," Natural History (November 2005): p. 53.

6.MacArthur, The Battle for the Beginning, p. 12

Prologue

مقدمة الكتاب

لأن كلّا من المحررْين قد حاضرا في 23 دولة مختلفة حول قضية الخلق، فهم قادران على توضيح الاهتمام العالمي القوي حول هذه القضية. إن القضايا المتعلقة بالأصول شهدت نهضة قوية في السنوات الأخيرة. وهذا يرجع جزئيًا إلى ظهور الحركات المؤيدة لمذهب الخلق، والتصميم الذكي (intelligent Design). ولكن كان هناك عامل آخر هو تناوَل وسال الإعلام لاحتمالات وجود الحلقات المفقودة في التطور، أو ظهور سلالة جديدة من إنفلونزا الطيور، أوبقايا مياه على سطح المريخ، أو عدد من الدلائل المزعومة التي تؤكد النظرية الدارونية.

أضف إلى ذلك، وابلًا من وسائل الإعلام والهيمنة الواضحة للنظر إلى العلم كشيء مُسلّم به في الدوائر الأكاديمية، ويصارع المؤمنون باستمرار لتحقيق نوع من التوازن بين العلم والإيمان.

يزداد إدراك الدوائر الكتابية المحافظة بأن الخلاف بين مذهبي الخلق والتطور يتعلق بافتراضات فلسفية وبنفس القدر ببراهين تجريبية. والأكثر أهمية من ذلك، فبالرغم من التأكيد المتواتر بأن عمر الأرض ليس بالأمر الهام، إلا أن هناك عودة إلى فكرة أن الأمر ينطوي على مضامين لاهوتية هامة وجوهرية. إن الجدال حول مسألة عمر الأرض قد ازداد منذ فترة، ويبحث المؤمنون في جميع أنحاء المسكونة عن إجابات بشكل لم يسبق له مثيل.

عدد من الكتّاب الكتابيون البارزين شجعوا المسيحيين بشكل كاف ليدعموا الأسس الفلسفية التي تقوم عليها الرؤية العالمية المسيحية. وبالرغم من ذلك فكثير من هؤلاء الكتّاب نادرًا ما تعرضوا لمسألة عمر الأرض. على سبيل المثال " ديفيد نيوبيل" يستعرض العديد من الرؤى العالمية وعلاقتها باللاهوت والفلسفة والأخلاق والبيولوجية وعلم النفس والاجتماع، والقانون والسياسة والاقتصاد والتاريخ، ولكنه يترك الجيولوجية (علم الطبقات الأرضية)، والكوزمولوجية Cosmology (علم العالميات) دون أن يخط فيها سطرًا واحدًا، بالرغم من أهمية الدور الذي تلعبه هذه الفروع العلمية في دعم الرؤية العالمية الكتابية.

يتناول "رونالد ناش" في كتابه " worldviews in conflict" المذهب الطبيعي وإشكالية الشر، ولكن من المدهش أنه يستشهد بالنصوص الكتابية قليلًا، ويتجاهل تماماً السقوط. يؤكد " ناش"، وهو محق في ذلك، أن المذهب الطبيعي يمثل " أكبر منافس للمسيحية في الغرب، لكنه لم يقل شيئاً عن التطور،والأزمنة السحيقة، وهما الدعامتان الرئيسيتان اللتان تقوم عليهما فلسفة المذهب الطبيعي.

كتاب " the universe next door" لمؤلفه " جيمس سير" يصنع مقارنة جيدة بين المسيحية وأهم الرؤى العالمية الأخرى. ولكن في الطبعات الثلاث الأولى لم يتعرض تقريبًا إلى لعنة الله على الخليقة، ولم يذكر مطلقًا الطوفان، وهاتان القضيتان في غاية الأهمية بالنسبة لمسألة عمر الأرض.

بعض اللاهوتيين والمدافعين الآخرين اقتنعوا بأن قضية عمر الأرض ليست بالأمر الهام، مدّعين بشكل تقليدي أنها مسألة خلافية (التهمة الضمنية بأن أنصار نظرية الأرض الفتية (حديثة العهد) أو الحديثة العهد هم المذنبون والذين يجادلون لمجرد الجدال)، أو أنها مجرد عائق أمام من يفكرون في إدعاءات المسيحية عن الحق. وفي بحث قُدم للمجلس العالمي لعصمة الكتاب المقدّس(ICBI)، أدعى "جليسون أرتشر" أن أنصار مذهب الخلق والأرض الفتية (حديثة العهد) أو الحديثة العهد " يشككون في عصمة النصوص الكتابية"، ولكن العلماء المناصرين لمذهب الخلق الذين يوقعون على المواد الخاصة بالرفض أو القبول للمجلس العالمي لعصمة الكتاب المقدّس يتساءلون لماذا أصبح الحال هكذا، حيث أنهم يبدون أقلية عندما يلتزمون بشدة بالمادة الثانية عشرة والتي تنص على أن المؤيدين لعصمة الكتاب المقدّس " ينكرون أن الفرضيات العلمية عن تاريخ الأرض ربما يمكن استخدامها بشكل ملائم لتحريف تعاليم الكتاب المقدّس الخاصة بالخلق والطوفان".

اتهام آخر ضد المناصرين لمذهب الخلق ونظرية الأرض الفتية (حديثة العهد) أو الحديثة العهد يقول إننا ننكر الواقع إلى حد ما. لقد تطاول كلاً من " جليسون أرتشر" و" هيو روس" إلى الحد أن قالوا أن مذهب خلق الأرض الفتية (حديثة العهد)" يطبق لاهوتًا لا أدرياً- أي الاعتقاد بأن العالم الطبيعي مجرد وهم، وفقط العالم الروحاني هو الحقيقة"، وهذا " الرأي في النهاية ينكر الكتاب المقدّس ذاته". وعلى قُرّاء هذا الكتاب أن يقرروا إذا ما كان هذا التقدير يتوافق مع الواقع أم لا.

ويحث كلّ من " نورمان جيسلير" و" بيتر بوتشينو" العالمين المناصرين لمذهب الأرض الفتية (حديثة العهد) أو الحديثة العهد بأن" يتوقفوا عن الاقتتال حول مسألة عمر الأرض"، لأن " كثير من العلماء الموهوبين والمخلصين والأمناء" يؤكدون أن عمر الأرض قديم الأزل. بالرغم أن الإخلاص والأمانة والموهبة العقلية هي صفات هامة للمدافعين، لكنها لا تضمن صحة الحقائق العلمية، ومن باب أولى صحة الفكر الكتابي.

في عام 1982 قام مؤلفو كتاب " Christianity today" بالتعبير عن قلقهم حول الجدال الدائر في مسألة عمر الأرض بزعمهم الآتي:

" إن العلماء المناصرين لمذهب الخلق الكتابي والذين ينادون بأرض فتية (حديثة العهد) حديثة العهد قد يواصلون الحرب على جبهة عريضة جدًا. ليس من الضروري الالتزام القوي نحو كتاب مقدّس معصوم من الخطأ أو الزلل أن ينكر المرء صحة الترتيب الجيولوجي بالكامل. أو يصر على أن الكون حديث العهد"

لكن من ينادون بعصمة الكتاب المقدّس والذين يريدون تجنب الحرب في جبهة ضيقة قد يسألون" إذا كانت كلمة الله واضحة بما يكفي في مسألة عمر الأرض والكون، فهل يمكن أن نتوقع لتلميذ مخلص للمسيح أن يقبل الترتيب الزمني التطوري الذي أعده علماء غير مؤمنين؟" في إشارتهم إلى الترتيب الزمني الجيولوجي دون توجيه النقد له، مع العلم أنه يتمتع بنفس الحالة التجريبية للجدول الدوري، لا يسعى إلا أن نظن أن مؤلفي كتاب " Christianity today" دون وعي منهم قد رفعوا

مرجعية النظرية الجيولوجية فوق مرجعية الكتاب المقدّس. وكما سنوضح لاحقاً، فإن الترتيب الزمني الجيولوجي الذي يرجع إلى الأزمنة السحيقة يمثل بالفعل مفهوماً تفسيرياً فلسفياً.

هناك إشكاليتان في هذا الادعاء الذي جاء في كتاب " Christianity today": الإشكالية الأولى هو الافتراض الواضح بأن مؤيدي مذهب الخلق ليس لديهم فهم كاف للمبادئ الجيولوجية. وهذا يعكس جهلا تاما لكمية طائلة من الأبحاث قام بها العلماء الجيولوجيون من أنصار نظرية الخلق. ولكن الإشكالية الثانية، وهي أكثر خطورة، وهي أن هناك فرصة متاحة للمساومة أمام هذا النوع من التفكير. هل أولئك الذين يعتقدون بأن الكتاب المقدّس يدين الجنسية المثلية والزنى، ستكمم أفواههم بمجرد الأسلوب المنمق بأن هذا الموقف يرفض صحة الكم الهائل من الأبحاث الفلسفية الحديثة؟ هل نظل مقتنعين بجوهر التفسير بأن خروج بني إسرائيل من مصر حدث كما سجله موسى، أم يوجه إلينا التعنيف لأننا لم نعتنق بالكامل بحوث علماء المصريات العلمانيين والليبراليين؟

إن كلمة عصمة كما يُعرّفها المجلس العالمي لعصمة الكتاب المقدّس ICBI، وكما أكدها معظم الكتابيين لها مضمون وحدود تاريخية، وتصبح بلا معنى إذا ما قبلت تأثيرات من خارج الكتاب المقدّس، والتي بعد فحصها جيدًا نتأكد أن الالتزام الثابت بعصمة الكتاب المقدّس يجب أن يكون هكذا:" ثابت" بمعنى لا يتأرجح بواسطة المستجدات من المراسيم الدائمة الظهور من الدوائر العلمية.

اتجاه آخر يقلل من أهمية قضية عمر الأرض نجده عند " واين جرودوم"، الذي يرى أن هذه القضية ثانوية بالنسبة للتعاليم الأكثر ثقّلا. وفي كتابه الرائع عن اللاهوت النظامي والأكثر شهرة، يكتب" جرودم" أن تعاليم الكتاب المقدّس الخاصة بعمر الأرض " ليس بهذا القدر من الأهمية" بالنسبة إلى التعاليم الآتية:

1- خلق الله الكون من العدم.
2- الخليقة مختلفة عن الله وتعتمد على الله في وجودها.
3- خلق الله الكون ليظهر مجده.
4- كان خلق الله للكون حسنًا جدًا.
5- لن يكون هناك نهاية للصراع بين العلم والكتاب المقدّس.
6- النظريات الدنيوية التي تنكر الله كخالق بما في ذلك "الداروينية" لا تتفق تمامًا مع تعاليم الكتاب المقدّس. يقول" جرودم" بعد ذلك أن مسألة عمر الأرض أقل أهمية من قضيتين أخرتين سيتعرض إليهما لاحقًا في كتابه وهما:
7- خلق العالم الملائكي.
8- وخلق الإنسان على صورة الله.

ولكن هذه التصريحات التي قدمها "جرودم" مجرد تأكيدات لا تدعمها أية براهين أو أدلة كتابية. لاحظوا أن فكرته الأولى عن الخلق من العدم هي استشهاد كتابي سليم مبني على الكتاب المقدّس وليس مجرد تعليم واضح مقتبس من سفر التكوين. قارن ذلك في مقابل التصريحات الواضحة

العديدة عن أيام الخلق (في سفر التكوين ونصوص كتابية أخرى)، والزمن المنقضي منذ الخليقة في سلاسل الأنساب الواردة في تكوين 5،11. تأمل أيضًا أن الإجابات الخاصة بقضية عمر الأرض لها علاقة مباشرة بالنقطتين 3،4، وكلاهما يتفقان بشكل طبيعي مع نظرية الأرض الفتية (حديثة العهد) أو الحديثة العهد. بالإضافة إلى أن الحكم من خلال قلة ما أوردته كلمة الله عن أهم القضايا التي يراها "جرودم" أنها أكثر أهمية، بالمقارنة إلى المساحة التي يتيحها الكتاب المقدّس للدلائل الزمنية في قضية الخلق، فإن قضية عمر الأرض لا تستحق أبدًا المكانة المترتبة التي يشير إليها " جرودم".

إن "جرودم" محقٌ في قوله بأن النظريات التي تنكر الله كخالق (بما في ذلك نظرية النشوء والارتقاء أو التطور الدارونية) لا تتفق مع الكتاب المقدّس. لكننا نزعم أن هذا الادعاء بعدم التوافق لابد أن يفترض قراءة حرفية لسفر التكوين الأصحاحين 1 و2. عندما خلق الله في البداية النباتات والحيوانات والبشر، أكد عشرات المرات أنه خلق هذه الكائنات كأجناس متميزة، في صورة مكتملة جاهزة للتوالد والتكاثر" كل حسب جنسه" (وليس التغير من نوع إلى نوع آخر). إذا كانت كلمة الله صحيحة، فإن التطور من ميكروب إلى شخص متخصص في علم الميكروبات هو أمر خاطئ. ولكن إذا كان الكتاب المقدّس صحيحاً في هذا الأمر، ألا يعتبر هذا ازدواجية عندما نؤمن بما قاله الله عن عمر الأرض؟

لماذا لا نقبل المدة الزمنية لأسبوع الخلق بشكل حرفي وكذلك ترتيب أحداث الخلق (الترتيب الذي يستبعد فكرة الانفجار العظيم، والعصور الجيولوجية التطورية)؟ ولماذا لا نعتقد أن الطوفان العالمي الذي دمّر العالم خلَّف كمية هائلة من الدلائل الجيولوجية الدائمة (على سبيل المثال، الطبقات الرسوبية، وعوامل التعرية، ترسيبات الحمم البركانية (اللافا)، والحفريات)، بدلاً من اتباع " دافيس يونج" في اعتقاده بأن الطوفان " ليس له أي اعتبار من الناحية الجيولوجية"، تماماً كما يعتقد "جرودوم"؟ هذا العمل الحالي يقدم أسباب منطقية من الناحية التفسيرية واللاهوتية والتاريخية للأخذ بحرفية الأصحاحات 1-11 من سفر التكوين، تماماً كما فهم العبرانيون الأوائل ما كتبه موسى.

بالإضافة إلى ذلك، النظريات العالمية المهيمنة عن أصل الكون والأرض منذ ملايين السنين لا تستند بشكل كبير على "فرضية الله". وبالتالي غير متفقة بنفس القدر مع عقيدة الكتاب المقدّس. عندما تخرج النظريات العلمية من افتراضات فلسفية معارضة للكتاب المقدّس (كما سيتبين لاحقًا في حالة جيولوجية الأرض العتيقة)، فهل يجب أن تُعطي أي تصديق في محاولة للتوفيق مع تفسير النص الكتابي؟ يُظهر أنصار الأرض القديمة تردداً ملحوظاً للطلب من الكنيسة أن تربط تفسيرها بالقناعات الفكرية لعلوم الجيولوجية المتعارف عليها. في إشارة إلى حاجتنا إلى التسليم بأن معظم إدعاءات الجيولوجيين هي حقائق مطلقة. لكن التاريخ يشير إلى أن معظم الاكتشافات العلمية جاءت من قلة ممن كانوا على استعداد أن يتحدّوا العُرف والتقليد. يجب أن يكون العلماء آخر من ينسى أن أغلب العلماء كان لهم وقتهم وقد ثبت خطأهم.

ويجب على اللاهوتيين الكتابيين ألا يتجاهلوا هذه الحقيقة التاريخية، أو يشكوا أن مبدأ "سيميلفايس" Semmelweis reflex (كناية عن رفض المعرفة الجديدة بسبب تعارضها بنماذج فكرية مترسخة) قائم إلى الآن أيضاً.[2]

يرى دكتور "جيرمايا أوستريكر"- وهو أستاذ جامعي بارز في علوم الفيزياء الفلكية ومدير سابق لمرصد جامعة برينستون- احتياجًا لمزيد من الخنوع في المجتمعات العلمية: " إذا نظرنا من الناحية التاريخية، فمعظم النظريات في أي وقت تكون خاطئة. لهذا ليس هناك سبب محدد يفسر لماذا وجدت هذه النظريات في هذا الوقت، أو لماذا كان العلماء من الغباء ليصدقوا ذلك؟"

وماذا حدث إلى المبدأ الرئيسي للإصلاح "تشابه الإيمانAnalogia fidei"، والذي كافح بمقتضاه المؤمنون من أجل الحقائق الإيمانية قارنين النصوص الكتابية بعضها ببعض؟ هل نجرؤ أن ننادي بأن الوحي يتطرق إلى كل التفاصيل مسلطًا الانتباه إلى أدق التفاصيل التفسيرية في العهد الجديد، فقط ليرفض التحليل الواضح عندما نأتي إلى رواية الخلق والطوفان؟ لماذا تتسلل قاعدة "القرينة الكتابية" إلى عقول طلبة اللاهوت فقط ليرفضوا الحكم لها بشكل متعسف عندما يتم التعرض إلى هذين الموضوعين الكتابين؟ وبالتالي سنزعم أن الدافع الخفي من وراء ذلك الجدال حول عمر الأرض هو التشكيك في مرجعية الكتاب المقدّس والجحود تجاه صلاح الله.

ولكن الطريقة التي نستعرض بها هذا الخلاف تشير إلى أكثر من مجرد فهمنا لطبيعة الوحي. كما سنوضح لاحقًا، إنما تتعرض مباشرة إلى طبيعة نظرتنا لطبيعة الله الخالق ذاته. في إشارة تنطبق هنا قالها "جيسلير" محذراً من الاتجاهات الخطيرة داخل الأوساط الكتابية المحافظة: " لا ينبغي على المسيحيين أن يعبثوا بطبيعة الله الأزلي". ونحن متفقون معه جدًا في ذلك.

من خلال خبراتنا نجد أن الأساتذة الجامعيين بالكليات والمعاهد اللاهوتية عادة ما يكونون غير مطلعين على البراهين التي يقدمها أفضل العلماء المناصرين لمذهب خلق الأرض الفتية (حديثة العهد). هناك العديد من الأعمال العلمية المُتقَنة تستعرض النواحي المتخصصة لنظرية الخلق في مقابل قضية التطور. أحياناً توجد أفضل المعالجات فقط في المجلات العلمية والكتب التي يصعب الحصول عليها، وغير الموجودة في معظم المكتبات.

---

(2) على سبيل المثال، القديس أثناسيوس الرسولي الذي نُفي خمس مرات، كان الشخص الوحيد تقريبًا الذي كان على اقتناع بأن الأغلبية المقتنعة بفكر آريوس عن طبيعة المسيح كانت على خطأ. في أيام لوثر أيضًا كانت الكنيسة كلها تقريبًا على خطأ فيما يتعلق بعقيدة الغفران والخلاص. كما أطلق الناس على تليسكوب جاليليو أنه من عمل الشيطان. كما اعتقد معظم الأطباء في القرن الثامن عشر أن النزيف يشفي الأمراض. ونظرية "ويجنر" عن الزحف القاري نظر الناس إليها بسخرية في بادئ الأمر. ومعظم الدارسين الحاليين يقبلون النظرية الدارونيية كحقيقة (بالرغم من رفض معظم العلماء من أنصار نظرية خلق الأرض القديمة لها). لقد واجه "إيجناز سيميلفايس" سخرية ومعارضة شديدة من زملائه الأطباء بسبب ادعائه بأن غسل الأيدي قد ينقذ الحياة. وكنتيجة لذلك جاء مصطلح "رد فعل سيميلفايس" ليصف الرفض التلقائي للأفكار دون التفكر فيها ولو للحظات أو دراستها وتجريبها، وذلك ببساطة لأنها تتعارض مع الأنماط الفكرية المترسخة.

ولهذا فإن محررا هذا الكتاب شعرا بالاحتياج الشديد لمجلد واحد يجمع الكُتّاب الكتابيين المحافظين بما لديهم من براهين تاريخية وتفسيرية ولاهوتية يظهرون بها تعاليم الكتاب المقدّس عن ستة أيام حرفية للخلق، وطوفان عالمي له طبيعة كارثية.

تمثل الفكرة السائدة في هذا الكتاب في الأهمية قضية عمر الخليقة بشكل جوهري وأساسي بالنسبة للتعاليم المسيحية. وإنه من الهام حقاً أن ندرك ما نؤمن به في هذه القضية. ونؤكد أننا لا نصر على أن يصبح كل إنسان مؤمنًا بنظرية خلق الأرض الفتية (حديثة العهد) أو الحديثة العهد لكي يَخلُص، أو يكون في علاقة سليمة مع الله. فالإيمان بالمسيح كاف وحده لهذا الغرض. ولكن ما نؤمن به هذه القضية يرتبط بشكل مباشر مع عصمة الكتاب المقدّس وصحة تأويله كمرجعية مطلقة لكل القضايا التي يتعرض لها.

وعلى المحك أيضاً آرأؤنا عن الموت وشخص الله التي تحمل مضامين عن إيماننا بالأخرويات المعلنة في الإنجيل. كما أن التاريخ الذي يحكي عن عقيدة الكنائس حول تكوين 1-11 يجب أن يهم كل المؤمنين أيضًا.

أياً كان موضعك من العالم، سوف تجد من يعلِّم عن التطور والأزمنة السحيقة كحقيقة لا تقبل الخلاف في المدارس (على الأقل في الجامعات، وربما حتى في المدارس الاعدادية أو الثانوية)، أو في متاحف التاريخ الطبيعي، أو البرامج العلمية على التلفزيون، أو في المتنزهات العامة، أو على وسائل الإعلام، أو في الأعمال السينمائية. لابد أن يمتلك المسيحيون ثقة لا تتزع في كلمة الله، وفهم واضح لخبث إبليس في ذرع بذور الشك والتي ستؤدي لاحقًا إلى إنكار كلمة الله.

إن عبارة " أحقًا قال الله...؟" كانت كافية لخداع حواء، ولابد أن نحترس من نفس الحيلة التي يمارسها في يومنا هذا. وبهذه الطريقة فقط نستطيع أن نقف راسخين وشاهدين في هذا العالم الذي تلقن بدقة وتشبّع بالأفكار التطورية. لقد تحدث الله- ولكن هذه ليست القضية، القضية الأهم هل نصغي لما يقوله؟

في ظل الصراع بين الرؤى العالمية للتعاليم العلمانية لنظرية التطور وفكرة ملايين السنين، وروح الاستكانة التي تخيم على الكنائس، ليت هذا الكتاب يعمل على إقناع الكثيرين بأن يؤمنوا ويعلنوا ويدافعوا عن الحق الكتابي الوارد في الأصحاحات 1-11 من سفر التكوين.

ليس هناك جدل غير مفهوم حول أمور تافهة. وإنما يتعلق الأمر بتمجيد اسم الله الخالق وطبيعته، والتمسك بمرجعية ووضوح كلمة الله، وتقوية كنيسته بغرض الإتيان بخطاة كثيرين إلى ينبوع الخلاص من كل قبيلة ولسان وشعب وأمة. هذه صلواتنا بينما تقرأ سلسلة المقالات العلمية التالية.

كلمة واجبة تتعلق بفئة القرّاء المستهدفة لهذا الكتاب. يهدف الكتاب إلى الطلبة والأساتذة الجامعيين في المقام الأول بالكليات المسيحية والمعاهد اللاهوتية، آملين أن يعمل هذا الكتاب كمنهج أساسي أو تكميلي. ومع ذلك فإننا نهتم دائماً بالقرّاء العاديين غير المتخصصين من حيث اختيار الموضوعات في كل فصل، والعملية التحريرية . وتحقيقاً لهذا الهدف قمنا بعمل ترجمة حرفية إلى الإنجليزية

(والعربية) للكلمات العبرية واليونانية الواردة في فصول الكتاب، وبطريقة أو بأخرى حاولنا أن نجعل أسلوب الكتابة سهل وبسيط بالنسبة لغير المتخصصين. بمستوى ثقافي مُطلّع مع المحافظة على أسلوب سهل لغير المتخصصين وهذا كان هدفنا الثنائي، وسنترك لك أن تحكم إذا ما وفقنا في ذلك أم لا.

في النهاية نريد من قرّائنا أن يعرفوا أننا نهدي هذا الكتاب أولاً إكرامًا لخالقنا إلهنا ومُخلّصنا، وإله الكتاب المقدس مثلث الأقانيم. لكننا نهدي أيضاً هذا الكتاب لأحد تلاميذه المخلصين: دكتور "جون وايتكومب". فكثير من المؤلفين المساهمين في هذا المجلد كانوا تلاميذ دكتور "وايتكومب" في وقت من الأوقات. وكل واحد من هؤلاء المساهمين يدينون بشكل شخصى إلى إسهاماته حول هذا الموضوع.

إن السيرة الذاتية لدكتور "وايتكومب" توضح أنه لم يكن دائمًا من أنصار نظرية خلق الأرض الفتية (حديثة العهد). إن تحوله من مؤيد لمذهب الأرض القديمة إلى مؤيد لنظرية الأرض الفتية (حديثة العهد) جاء تحت تأثير الراحل الدكتور "هنري موريس"، المؤسس والرئيس الدائم لمعهد أبحاث الخلق. وهذه العلاقة آلت في النهاية إلى تأليف مشترك لكتاب من أروع ما يكون تحت عنوان "The genesis flood" صدر في عام 1961، والذي أدى إلى انطلاق الحركة الحديثة المناصرة لمذهب خلق الأرض الفتية (حديثة العهد) أو الحديثة العهد. بعد ذلك كتب دكتور وايتكومب العديد من الكتب مدافعاً عن الحقائق الحرفية الواردة بسفرالتكوين.

صدق من قال أن الشخص الرائد المبدع يُعرف من خلال الأسهم (الأدلة الدفاعية) التي يحملها في جعبته! نحن جميعاً مديونون لك يا دكتور "وايتكومب" لثباتك على قناعاتك الفكرية لمدة ما يُقرب من نصف قرن، خاصة في ظل الموجات المعارضة والمساومة على الحق الكتابي التي كان عليك أن تجتازها. العديد من اللاهوتيين بذلوا جهداً كبيرًا في شرح مذهب خلق الأرض الفتية (حديثة العهد) والدفاع عنه. ومن خلال تعليم هذه الحقائق لأعداد لا حصر لها من الطلبة في البرامج الدراسية للمعاهد اللاهوتية، والمحاضرات الدولية، وتأليف مؤلفات، فأنت تستمر في إلهامنا، وما تركته لنا سيظل غنيًا وخالدًا.

هذا الكتاب يعتبر مجهودًا متواضعًا جدًا من المؤلفين والمحررين المساهمين فيه ليقولوا " شكراً لك يا دكتور "وايتكومب" من أجل روحك الشجاعة والأبية، وتعاليمك الأمينة، خاصة فيما يتعلق بهذه المسألة الهامة الخاصة بالأصول. لقد أرسيت مقياسًا رفيعًا وعاليًا لما يجب أن تكون عليها المعرفة الورعة التقية، وهذه المقالات تتوق أن تسير على خطاك"

"تيري مورتنسون" " Terry Mortenson"
" Thane Hutcherson Ury"
26 أغسطس 2008

1 For example, Joseph A. Pipa and David W. Hall, Did God Create in Six Days? (Taylors, SC: Southern

Presbyterian Press, 1999); J.P. Moreland and John Mark Reynolds, eds., Three Views on Creation and

Evolution (Grand Rapids, MI: Zondervan, 1999); David G. Hagiopian, ed., The Genesis Debate: Three

Views on the Days of Creation (Mission Viejo, CA: Crux Press, 2001); John Ankerberg TV debates

(Hugh Ross v. Kent Hovind debate in October 2000, and the 8-part "The Great Debate" series of Ken

Ham and Jason Lisle v. Hugh Ross and Walter Kaiser aired in January–February 2006.

2 David A. Noebel, The Battle for Truth (Eugene, OR: Harvest House, 2001).

3 Ronald H. Nash, Worldviews in Conflict (Grand Rapids, MI: Zondervan, 1992).

4 James W. Sire, The Universe Next Door (Downers Grove, IL: IVPress, 1997, 3rd ed.).

5 Gleason Archer, "A Response to The Trustworthiness of Scripture in Areas Relating to Natural Science,"

in Earl Radmacher and Robert Preus, eds., Hermeneutics, Inerrancy and the Bible (Grand Rapids, MI:

Zondervan, 1984), p. 325.

6 "The Chicago Statement on Biblical Inerrancy," in Norman L. Geisler, ed., Inerrancy (Grand Rapids, MI:

Zondervan, 1980), p. 496.

7 Gleason L. Archer and Hugh Ross, "The Day-Age View," in Hagopioan, ed., The Genesis Debate, p. 128–

131. See also, Andy Butcher, "He Sees God in the Stars," Charisma (June 2003), p. 38–44; and Hugh

Ross, Creation and Time (Colorado Springs, CO: NavPress, 1994), p. 118.

8 Norman Geisler and Peter Bocchino, Unshakeable Foundations (Bloomington, MN: Bethany House,

2001), p. 175, fn. 6. It could well be asked why the same sense of tolerance was not extended to

Murray Harris, Clark Pinnock, John Sanders, or various annihilationists whom Geisler has harshly

criticized over the years; men who may be mistaken, but nonetheless personify "sincerely honest and

intellectually gifted scholars." We wish Geisler would subject the case put forth by old-earth creationists

to the rigorous philosophical and exegetical scrutiny for which he is known and appreciated by so

many. In his 2003 explanation for why he resigned from the Evangelical Theological Society, Geisler

said he still loved the "organization and that for which it once firmly stood — the total factual

inerrancy of the written Word of God." It is interesting that his resignation was due to ETS allowing

open theists to retain membership in the society. What makes this ironic is that the exegetical methods

of open theists, annihilationists, and deep-time theists are so similar. More importantly, Geisler and

Wayne House have said that open theism is a frontal assault on the nature of God, and therefore

mandates vigorous confrontation; which is exactly the same motive prompting this present work.

9 Editors, "Of Evolution and Creation and the Space Between," Christianity Today 26 (May 7, 1982): p.

13, quoted in J. Kenneth Eakins, "The Relationship of the Bible to Natural Science," The Proceedings of

the Conference on Biblical Inerrancy 1987 (Nashville, TN: Broadman Press, 1987), p. 360.

10 See the recommended resources at the end of this book for geological evidence of a young earth and

global Flood.

11 Wayne Grudem, Systematic Theology (Grand Rapids, MI: Zondervan, 1994), p. 289.

12 Ibid., p. 306–307. Grudem says the Flood was worldwide and "did have a significant impact on the face

of the earth." But he does not specify what the geological significance was and clearly indicates that he

thinks the vast majority of the sedimentary rocks were formed over millions of years, not by the Flood.

13 For example, the five-time exiled Athanasius almost single-handedly convinced the majority that Arius'

view of Christ's nature was wrong; in Luther's day most of the Church was wrong on indulgences and

the doctrine of salvation; Galileo's telescope was called a tool of the devil; most 18th-century physicians

wrongly thought bleeding cured illness; Wegener's theory of continental drift was at first mocked; and

most modern scholars accept Darwinism as fact (though most old-earth creationists do not). Claiming

that hand washing would save lives, Ignaz Semmelweis faced ridicule and strong opposition from

medical colleagues. As a result, the label "Semmelweis-reflex" was coined to describe the automatic

rejection of ideas without giving the slightest thought, inspection, or experiment, simply because it

challenges entrenched paradigms.

14 Alan Lightman and Roberta Brawer, eds., Origins: The Lives and Worlds of Modern Cosmologists

(Cambridge, MA: Harvard University Press, 1990), p. 262–263.

15 Norman Geisler, Creating God in the Image of Man? (Minneapolis, MN: Bethany House, 1997), p. 11.

The same apt warning has cogent application throughout the entirety of this present volume.